ABES13

**أحاديث الأذكار والأدعية 49 - أذكار الانتباه من النوم**

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله؛ صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فالحديث عن أذكار الانتباه من النوم.

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ عَنِ النَّبيِّ قَالَ: **((مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ:** «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَـهُ، لَـهُ الْـمُـلْكُ وَلَـهُ الْـحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الْـحَـمْدُ لِلَّـهِ، وَسُبْحَانَ اللَّـهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ، وَاللَّـهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّـهِ**»**، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا؛ اسْتُجِيبَ له، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ**)) رواه البخاري.

الاستيقاظ من النوم ليلاً غالبًا يكون عن طول نوم، بخلاف النوم الذي يكون في النهار فإنه لفترة محدودة، ولهذا خُصّ نوم الليل بهذا الذكر؛ لأنه مع طول النوم والاستغراق فيه والانقطاع عن الذكر ناسب أن يكون مع انتباه الإنسان من هذا النوم الطويل مبادرة لذكر الله تبارك وتعالى. وهذا من أمارات الخير في العبد، وفيه دلالة على ملازمته الشديدة لذكر الله؛ لأن نومه وإن طال لا يفصله عن الذكر، فبمجرد أن يقوم من نومه يعود إلى أُلفِه ذكرِ الله تبارك وتعالى. وهذا لا يتهيأ لكل أحد، وإنما يتهيأ لمن كان ملازماً لذكر الله، قد لانت نفسه بالذكر، واستدامتهُ واعتادتهُ وألفته واطمأنت به، فإذا كان المرء بهذه الصفة تهيأ له حين قومته الرجوع إلى الذكر مباشرة؛ لأن ذكر الله هو غاية مقصوده؛ عليه ينام وعليه يقوم.

قوله: «**مَن تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ**» أي: من أستيقظ من نوم الليل، سواءً استيقظ في وقت استيقاظه، أو استيقظ في أثناء الليل لعارض.

قوله: «**فَقالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وحْدَهُ لا شَرِيكَ له، له المُلْكُ وله الحَمْدُ، وهو علَى كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ، الحَمْدُ لِلَّهِ، وسُبْحَانَ اللَّهِ، ولَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، واللَّهُ أَكْبَرُ، ولَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إلَّا باللَّهِ العظيم، ثُمَّ قالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا، اسْتُجِيبَ له، فإنْ تَوَضَّأَ وصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ**»؛ اجتمعت هنا خيرات عظيمة، وأعمالٌ مباركة، وأذكار نافعة في هذا الذي أرشد إليه ووجه إليه النبي عليه الصلاة والسلام .

بدأ أولاً بالتهليل: «**لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وحْدَهُ لا شَرِيكَ له، له المُلْكُ وله الحَمْدُ، وهو علَى كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ**»؛ و«لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ» هي كلمة التوحيد التي عليها قيام الدين، ولا توحيد إلا بما دلّت عليه هذه الكلمة، وهي قائمة على رُكنين: نفي وإثبات؛ نفي عام في أولها، وإثبات خاص في آخرها، نفيٌ للعبودية عن كل من سوى الله، وإثبات للعبودية بكل معانيها لله وحده، فهو الذي يُفرد بالطاعة، ويُخصّ بالعبادة، وتُصرف له بجميع أنواعها دون سواه.

وقوله: «**وحده لا شريك له**» فيه تأكيد لمعنى «**لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ**»، ففي قوله: «وحده» تأكيد للإثبات وقوله: «لا شريك له» تأكيد للنفي.

ثم أتبع ذلك بذكر براهينها فقال: «**له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**»؛ فإن من له الملك كله المستحق للحمد كله الذي هو على كل شيء قدير؛ هو الذي لا إله إلا هو، المعبود بحق ، ولا يُصرف شيء من العبادة إلا له سبحانه وتعالى.

ثم يقول: «**الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر**»؛ وهؤلاء الكلمات الأربع هن أحب الكلام إلى الله؛ وقد جاء في الحديث عن النبي أنه قال: **((**أحبّ الكَلام إلى الله أربع كلمات: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله، والله أكبر)) ، وقال عليه الصلاة والسلام: «لأن أقول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر؛ أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس))، أي: من الدنيا وما فيها.

و«**الحمد لله**»؛ فيها الثناء على الله وإثبات الكمال له .

و«**سبحان الله**»؛ فيها تنزيه الله عن النقائص، وعما لا يليق به .

و«**لا إله إلا الله**»؛ فيها توحيد الله وإخلاص الدين له، والبراءة من الشرك.

و«**الله أكبر**»؛ فيها تعظيم الله، واعتقاد أنه لا أكبر منه .

ثم يقول: «و**لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**» أي: لا تحوّل من حال إلى حال، ولا حصول قوةٍ للعبد يمارس بها أعماله ومصالحه إلا بالله، بمدّه وعونه وتوفيقه؛ فلا تحوّل من مرضٍ إلى صحة، ومن ضلالٍ إلى هداية، ومن ضعفٍ إلى قوة، ومن فقرٍ إلى غنى إلا بالله، فهي كلمة استعانة، أي: نطلب منك العون، ولهذا يُشرع قولها في استقبال الأعمال والمهام والمصالح الدينية والدنيوية، كما في الذكر الذي يشرع للمسلم أن يقوله عندما يخرج من بيته: «بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله»، لأي مصلحة دينية أو دنيوية، ، ويشرع لمن سمع النداء: «حي على الصلاة، حي على الفلاح» أن يقول: «**لا حول ولا قوة إلا بالله**» طلبًا للعون من الله ؛ فالإتيان بها في هذا الموضع في غاية المناسبة.

وهكذا من استيقظ من النوم وبادر إلى ذكر الله بما تقدم يشرع له أن يقول : «لا حول ولا قوة إلا بالله»، لأنه سينهض من فراش للوضوء والصلاة ومن ثم لمصالحه المتنوعة؛ فيحتاج إلى الاستعانة بالله، ليقوم بهمةٍ وعزيمةٍ ونشاط بمدّ من الله سبحانه وعون.

وقوله: «**العلي العظيم**» أي الذي لا أعلى منه ولا أعظم منه؛ فكل شيء تحت قهره وسلطانه وعظمته، لا إله إلا هو ولا رب سواه؛ فيستشعر علوّ الله تبارك وتعالى وعظمته، وهذا يدفع بقلبه إلى قوة الارتباط به وكمال الالتجاء إليه وتعظيمه سبحانه.

«**ثُمَّ قالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا**» ؛ «أو» قيل إنها للشك، وقيل: وهو الأقرب أنها للتنويع، أي سواءً استغفر أو دعا فإنه يُستجاب له؛ إن استغفر غُفر له، وإن دعا وسأل الله حاجة من حاجاته أجاب الله دُعاءه ، ومن الخير للعبد أن يجمع بين الأمرين : يدعو ويستغفر.

وحريٌّ بالعبد في هذا الموضع، وفي هذا الوقت الشريف، وفي هذه الحال المباركة؛ حالِ انتباه العبد من نومه على ذكر لله بهذه الكلمات العظيمة التي هي أعظم الكلمات على الإطلاق؛ أن يستغفر، وأن يدعو ربه معتنيا بهذين الأمرين العظيمين فإن دعاءه مستجاب. وقد روى أبو داود في سننه وأحمد في المسند وغيرُهما عن معاذ بن جبل عن النبي قال: ((ما من مسلم يبيت على ذكر الله طاهراً فيتعارَّ من الليل فيسأل الله خيرًا من الدنيا والآخرة إلاَّ أعطاه الله إيّاه)).

قوله: «**فإنْ تَوَضَّأَ وصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ**»؛ وصلاة مسبوقة بتلك الأعمال الجليل، والخصال العظيمة حريٌّ أن تُقبل. وقد أخرج الإمام البخاري : هذا الحديث في كتاب التهجد من صحيحه، «باب: فضل مَن تعارَّ من الليل فصلَّى»؛ أي أنَّ مَن صلَّى في ذلك الوقت وبادر إلى الصلاة في تلك الحال فصلاتُه حريَّةٌ بالقبول، والقبول في هذا الموطن أرجى منه في غيره.

الحاصل أن هذه الأعمال يؤتي بها على هذا الترتيب الذي جاء في هذا الحديث العظيم المبارك :

* **أولًا**: يقول: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**».
* **ثانيًا**: يأتي بالكلمات الأربع «**الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**».
* **ثالثًا**: يقول: «**لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**» وهي كلمة استعانة كما تقدم.
* **رابعًا**: يستغفر ويدعو؛ يقول: «استغفر الله» أو بأي صيغة من صيغ الاستغفار المأثورة، أو يدعو: «ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار»، أو أي دعاء من الأدعية الجامعة لخيري الدنيا والأخرة، فإنه إن استغفر غُفر له، وإن دعا اُستجيب له.
* **خامسًا**: أن يبادر إلى الوضوء، بأن ينهض من فراشه بعد هذه الأمور الأربعة ويتوضأ ليكون على طهارة، لأنه بنومه تنتقض طهارته، وقد تقدم أنه يُستحب له أن ينام على طهارة، والطهارة تنتقض بالنوم، فيستحب له أن يبادر إلى التطهر.
* **سادسًا**: أن يصلي ما تيسر له من صلاة الليل؛ فإن صلاته مقبولة.

وتكون هذه الأعمال اليسيرة التي لن تأخذ منه وقتًا بركةً له في يومه كله، وسبب خيرٍ له، وباب قبول، وتوفيق، وسداد أمر في يومه كله.

وقد أورد الحافظ ابن حجر : في شرحه لهذا الحديث فائدةً لطيفةً حول العناية بهذا الذكر، عن أبي عبد الله الفِربري الراوي عن البخاري، قال: «أجريت هذا الذِّكر على لساني عند انتباهي، ثم نِمتُ فأتاني آتٍ -أي: في المنام- فقرأ: {وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ}».

وما من شك أن من يُهدى إلى هذه الأعمال العظيمة والأذكار المباركة قد هُديَ إلى الطيب من القول وهُديَ إلى صراطٍ مستقيم، بل كانت أعماله هذه بابَ خيرٍ له وبركة في حياته، فليجتهد المسلم ولا يحرم نفسه من هذا الخير العظيم. والله الموفق وحده لا شريك له.

وأسأل الله أن يوفقنا أجمعين لكل خير.